

المحاضرة العاشرة

مميزات الخطوط اللينة في العصر الأيوبي

- -أن من أنماط الخط اللين :النسخ والتلث، وقد شاع استخدام خط النسخ في كتابات المصاحف والمخطوطات والكتابات الأخرى الدارجة، أما خط التلث فقد استخدم في كتابات العماير والتحف التطبيقية المتنوعة .
- -أن خط التلث لم يحظ بدرجة كبيرة من الانتشار عند بداية ظهوره، ولكن عندما وضعت قواعده ونسبه الثابتة؛ ازدهر وشاع استخدامه على العماير والفنون التطبيقية الإسلامية المختلفة، في مختلف أنحاء العالم الإسلامي، اعتباراً من القرن السادس الهجري-الثاني عشر الميلادي .

- -أطلق على خط الثلث وما تبعه من خطوط تسائر قواعد النسبة الفاضلة مصطلح الخط المنسوب، وذلك لتناسب حروفه وجمال أشكالها، وتناسبها بشكل هندسي متقن مجود، واعتمادها على خطة هندسية في الكتابة.

- -من مميزات الخط اللين في بداية ظهوره على الآثار المعمارية والتحف التطبيقية: أن الكتابة تبدو مجودة إلى حد ما، بحيث تتبع القاعدة وتسائر النسبة الفاضلة في أبسط صورها، وفيها تستقيم الحروف وسطور الكتابة، وتخلو من النقاط وعلامات التشكيل، كما أن الكتابات ليست مركبة ولا متداخلة ولا متقاطعة حروفها مع بعضها البعض، وذلك بخلاف الكتابات المنفذة بخط الثلث والتالية لها في التاريخ، ولعل هذا من الفروق التي تميز بين خط الثلث في بدايات العصر الأيوبي، والخط الثلث في المراحل التالية له زمنياً.

- -اتضح من خلال الدراسة ومن خلال النماذج الأثرية المنفذة بالخط الثلث أن أماكن كثيرة من العالم الإسلامي عرفت هذا النوع من الخط واستخدمته في فترات زمنية متقاربة، مثل: سوريا ومصر واليمن وبلاد الحجاز، وغيرها من بلدان العالم الإسلامي الأخرى، مما يشير إلى سرعة انتشاره وتفضيله على غيره من أنواع الخطوط العربية الأخرى، وبخاصة في الكتابات التذكارية لجمال شكله وسهولة كتابته.
- -أن خط الثلث احتل مكان الصدارة محل الخط الكوفي التذكاري في الكتابات الرسمية التذكارية منذ القرن السابع الهجري-الثالث عشر الميلادي، على الآثار الإسلامية والتحف والفنون التطبيقية وشواهد القبور الإسلامية، كما دونت به المصاحف والمخطوطات، وذلك في شرق وغرب العالم الإسلامي على حد سواء .

- -شاع استخدام كلا الخطين (الكوفي والثلاث) على كثير من التحف الفنية والعمائر الإسلامية جنباً إلى جنب، فوجدا إلى جانب بعضهما على عديد من الأعمال الفنية التي ترجع إلى العصر الأيوبي، سواء أكان ذلك على الفنون التطبيقية أو على العمائر، وقد أكدت الدراسة وجود كلا الخطين إلى جانب بعضهما على عديد من شواهد القبور الأيوبية موضع الدراسة، على سبيل المثال انظر الشواهد أرقام: 2-7-11-29-38-51.

- -اختلف الكتاب في تسمية قلم الثلاث وما في معناه من الأقلام المنسوبة، إلا أنه ومن خلال الدراسة تبين أن قلم الثلاث الثقيل أو الكبير أو الجليل أو الجلي هو الأصل بالنسبة لقلم الثلاث بصفة عامة، وأن الصغير منه أو الخفيف أو المعتاد، إنما هو فقط أدق منه ثقلاً وأطف مقداراً منه بنذر يسير، أما صورته فهي كصور الثلاث الثقيل .
- -أن الخطاط عندما كان يكتب أو يرسم حروفه فكان يقيسها بواسطة ثلاثة مقاييس هي: عرض الحرف-قطة القلم-قطر الدائرة، والتي تمثل طول أو ارتفاع حرف الألف، وهذه المقاييس تختار وتكون أساساً لتناسب خطه، وهذا الخط هو أصل الخط المنسوب، أي الخط الخاضع لضوابط وقواعد النسبة الفاضلة .

- -بالنسبة لشكل الكتابات المنفذة على الشواهد :
- *كتبت شواهد القبور الأيوبية بالخط الكوفي على اختلاف أنواعه وأشكاله، أو بخط الثلث .
- *وجدت بعض الشواهد مكتوبة بخط الثلث، الذي يحمل أيضاً بعضاً من صفات الخط الكوفي: كالتربيع والتوريق والتزهير وانعدام التنقيط
- *أو على العكس من ذلك وجدت بعض الشواهد المكتوبة بالخط الكوفي الذي يحمل بعضاً من صفات الخط اللين كالتقوير والليونة.

- *حاول الخطاط أن يبرز كلمات البسملة، وذلك عن طريق كتابتها بخط أكبر حجماً من بقية كلمات الشاهد، وأن يخصص لها سطرًا كاملاً في قمة الشاهد، وبالتحديد يكون عادة السطر الأول، أو أن يضعها في أوضح مكان بالنسبة للشاهد، أو أن يضعها داخل تصميم زخرفي يجذب انتباه الناظر إلى الشاهد.

- *حاول الخطاط أن يجعل كلمات الآية القرآنية أو أجزاء منها أكبر حجماً من بقية كلمات الشاهد

- *حاول الخطاط أن يضع فاصلاً بين كلمات الآية القرآنية وبقية كلمات الشاهد، حيث وضع بعض الزخارف النباتية في نهاية كلمات الآية القرآنية كفاصل بينها وبين الكتابات الجنائزية الأخرى .
- *قسم الفنان مساحة الشاهد بأن جعل حول المساحة الوسطى إطاراً يحيط بالشاهد من ثلاثة جوانب، كتب فيه بعض الآيات القرآنية، ولم يكتب بذلك بل قام بكتابة كلمات الآية القرآنية بخط أكبر حجماً من بقية كلمات الشاهد، وأيضاً بخط مغاير لخط بقية كلمات الشاهد ، وأيضاً قام بعمل تصميم زخرفي عبارة عن شكل محراب له عقد مدبب، وكتب داخل إطار العقد وفي كوشتيه عبارة الشهادة، وسورة الإخلاص .

- *حاول الخطاط أن يجذب الانتباه لاسم صاحب الشاهد عن طريق كبر حجم بعض الكلمات التي تسبق الاسم مباشرة عن بقية كلمات الشاهد، بأن وضعها في سطر خاص بها، حيث ضخم حجم الكلمات "هذا قبر العبد الفقير إلى" بحجم يعادل مساحة خمسة أسطر من حجم أسطر الشاهد، ثم يأتي بعدها اسم صاحب الشاهد بالحجم العادي كبقية كلمات النص .

- *حاول الخطاط أن يلفت نظر المشاهد لاسم صاحب الشاهد، وذلك عن طريق كبر حجم كلمات الاسم عن بقية كلمات الشاهد ، وفي محاولة أخرى لإبراز الاسم قام الخطاط بتركيب كلمات الاسم خاصة-دون بقية كلمات الشاهد-ليجذب انتباه الناظر إليها .

- *حاول الخطاط أن يبرز تاريخ الوفاة وذلك عن طريق كبر حجم كلماته عن بقية كلمات الشاهد .

- *قام الخطاط في بعض الأحيان بكتابة اسمه ضمن كتابات الشاهد الذي قام بتنفيذه، وأيضاً ميز كلمات اسمه عن طريق كبر حجمها عن بقية كلمات الشاهد، كما قام الخطاط أو المكلف بعمل الشاهد بكتابة اسمه في الإطار الموجود في أسفل الشاهد بخط واضح يكاد يكون أكبر حجماً من بقية كلمات الشاهد .
- *حاول الخطاط أن يوافق بين المساحة المتاحة وبين النص الذي ينفذه بداخلها، بأن رسم هيئة المحراب، واستغل حنيته في كتابة الكلمات بداخلها، بحيث وافق بين الكلمات والأسطر وشكل الحنية والمساحة المتاحة للكتابة.

- *قسم الخطاط مساحة الشاهد أو المنطقة الوسطى الرئيسية (منطقة الكتابة) عن طريق خطوط عريضة منتظمة ومتوازية، تفصل بين أسطر الكتابة .

مميزات خط الثلث في العصر المملوكي

- -أن العصر المملوكي في مصر هو العصر الذهبي لتجويد خط الثلث، حيث اهتم المماليك بالخط العربي؛ وأنشئوا له عديد من المدارس لتعليمه وتحسينه، ومن أمثلتها مدرسة الشيخ شمس الدين الزفتاوي، ومدرسة ابن أبي رقيبة بالقاهرة، وقد اشتهرت مصر بتجويد الخط، وظلت مدارسها عامرة حتى قرب نهاية العصر المملوكي .
- -تميز خط الثلث في العصر المملوكي بحروفه ذات الحجم الكبير، وارتفاع الحروف الطالعة كالألف واللام التي كانت ترتفع إلى أعلى في حين تنبسط وتستلق حروفه الأفقية وتنزل إلى أسفل، مما حقق المزيد من التوازن والتقابل الزخرفي بين حروف الكتابة نفسها .

- -سار الخطاط في كتابته للشواهد على قواعد النسبة الفاضلة، حيث كان يضع لنفسه خطة كتابية قبل كتابته للنص، فكان يقسم مساحة الشاهد إلى مسافات متساوية تفصل بينها أسطر منتظمة متوازية، كما كان يناسب بين حجم الحروف والكلمات، وأيضاً عدد الكلمات في كل أسطر النص، مما جعل كتابات الشواهد قريبة الشبه من الكتابات المنفذة على العمائر والتحف التطبيقية المختلفة في الجودة والإتقان.
- -تميزت كتابات الشواهد في العصر المملوكي باحتوائها على عديد من الزخارف الخطية، وبعض من علامات الشكل، وبعض الزخارف النباتية والهندسية المتنوعة التي تتخلل كلمات النص والمساحات الفارغة بالشاهد .

- -وجدت على بعض الشواهد ظاهرة خطية، وهي كبر حجم الحروف، وتحديدًا من الخارج بخط رفيع من كلا الجانبين، كما أن قمة الحروف الطالعة تنتهي بزخرفة تشبه اللوزة أو الورقة النباتية التي تخرج من فرع نباتي ملتف، بحيث تكون هذه الزخرفة جزءاً من الحرف نفسه، وليست منفصلة عنه .

- -حاول الخطاط أن يضع نقاط الحروف في صورة زخرفية، بحيث تحقق الغرض المقصود منها، وهو التفريق بين الحروف المتشابهة، وإزالة اللبس والغموض في القراءة، وأيضاً تحقيق الجانب الجمالي

- *حاول الخطاط أن يميز كلمات البسملة بأن وضعها في سطر خاص بها في مقدمة الشاهد، كما ضخم حجم كلماتها عن بقية كلمات الشاهد .

- *حاول الخطاط أن يميز بين كلمات البسملة، وعبارات الشهادة بأن كتبها في سطر أكثر طولاً من بقية أسطر الشاهد .

- *حاول الخطاط أن يضع فاصلاً بين كلمات الآية القرآنية، وبين بقية كلمات الشاهد، بأن جعل الشاهد على هيئة نصف مستديرة من أعلى، ومستطيلة من أسفل، وقسمها من الداخل إلى منطقة وسطى تحتوي على الكتابات الجنائزية الرئيسية، وجعل حول المنطقة الوسطى إطاراً يحيط بالشاهد، يحتوي على البسمة وكلمات الآية القرآنية، بحيث تساير الكلمات نفس شكل الإطار، كما حاول أن يميز كلمات تاريخ الوفاة بأن وضعها داخل إطار شبه مستطيل أسفل الشاهد، وفي الجهة المقابلة لها وضع عبارة دعائية داخل إطار مشابه للسابق ومقابل له، كنوع من التوازن الزخرفي .

- *بالنسبة لمضمون الشواهد في العصر المملوكي، اقتصرت بعض الشواهد على التعريف بشخص المتوفى وتاريخ الوفاة، وبعض العبارات الدعائية البسيطة، وبالتالي نتج عن ذلك قلة عدد كلمات الشاهد بالمقارنة بشواهد القبور السابقة على العصر المملوكي، ونتج عن ذلك أن صغرت مساحة الشاهد، وزاد عرض أسطر الكتابة، مما أدى إلى انتظام أسطر الكتابة، وتقارب الحروف والكلمات في الحجم، وكبر حجمها .